جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

النقد اللغوي عند أبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة اللّه التجيبي (ت بعد ٤٤١ هـ/١٠٤٩ م) في كتابه (المختار من شعر بشار) اختيار الخالديين

الدكتور

منصف شلي

قسم الآداب واللّغة العربية، كلية الآداب واللّغات
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة - الجزائر

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

النقد اللغوي عند أبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي (ت بعد ٤٤١ هـ/١٠٤٩ م) في كتابه "المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين

منصف شلي

قسم الآداب واللّغة العربية، كلية الآداب واللّغات ـ جامعة الإخوة منتوري قسنطينة ـ الجزائر

البريد الإلكتروني: Chelli.moncef@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز الجانب النقدي في كتاب أبي الطاهر إسماعيل البرقي التجـــيـــبـــي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين"

وقد ركزنا على النقد اللغوي بالذات، وعلى الرؤية النقدية في شقها اللغوي والتي ميّزت كتاب المؤلف السابق ذكره.فكيف تجلّت هذه الرؤية يا ترى؟ وما هي أهم خصائص النقد اللغوي عند المؤلف؟

الكلمات المفتاحية : النقد اللغوي ، التجيبي ، المختار من شعر بشار ، أبي الطاهر إسماعيل ، اختيار الخالديين .

Linguistic Criticism of Abu al-Tahir Ismail bin Ahmad bin Ziyadallah al-Tajibi (d. 441 AH / 1049 CE) in his book "The Chosen One of Bashar's Poetry, The Choice of the Khaldis"

Moncef Chelly
Department of Arts and the Arabic Language, Faculty of Arts and Languages - University of Brothers Montouri Constantine - Algeria
Email: Chelli.moncef@gmail.com

Abstract

This research paper aims at highlighting the critical aspect of the AbiIsmaeel Al barky Al Tajeeby's book" A selection of Bashar's poetry."

And wefocused on linguisticcriticismitself and the criticial vision in itslinguistic aspect whichcharacterised the author's book previouslyquoted .How did the vision emerge and what are the key linguisticfeatures of the author?.

Keywords: Linguistic criticism, the respondent, chosen from the poetry of Bashar, Abi al-Tahir Ismail, the choice of the Khalidi.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمؤلف:

هو إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي من أهل القيروان وسكن المهدية، يعرف بالبرقي و يكنى أبا الطاهر، من أهل اللغة والفضل الوافر، أخذ عن أبي إسحاق الحصري تواليفه ، وسمع من أبي القاسم سعيد بن أبي مخلد الأزدي العُماني، و أبي القاسم عمار محمد الإسكندراني وأبي الحسن علي بن حبيش الشيباني الأديب، كما قرأ على يعقوب بن خرّازاد النجيرمي ونظرائه من شيوخ مصر، حيث روى عنه أدب الكتاب لابن قتيبة، كما روى ديوان المتنبي عن الحسين بن حاتم الأزدي الذي أخذه عن ابن جنّي (ت ٣٩٢ه) عن الشاعر نفسه.

كان أبو الطاهر إسماعيل عالما بالآداب مستبحرا، شاعرا مجوّدا من أهل التأليف والتصنيف، مع جودة الضبط وبراعة الخط، وكان رجلا طوّافا جوّالا، دخل الأندلس بعد الأربعمائة ثم سار إلى مصر، وكان بها سنة خمس عشرة و أربعمائة، كما أقام زمنا بصقلية حيث ربطته علاقات ودّ و صداقة بشاعر تلك الجزيرة الذائع الصيت علي بن محمد الخياط الرّبعي، وكان قبلا تلميذا لعبد الكريم النهشلي (٥٤٠٥).

حدّث عنه خلق كثير في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، لعل أبرزهم علاّمة الأندلس أبو مروان الطبني الذي لقيه بالإسكندرية في رحلة لأداء الفريضة، وكان وقوفه في موسم ثمان وثلاثين وأربعمائة.[1]

---

(١) حول ترجمته ينظر المصادر الآتية: ابن الآبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ج١، ص١٥٩، ترجمة رقم(٥٠١)،/السيوطي: بغية الوعاةفي طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد عبدالرحيم =

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكان أبو الطاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي لا يزال على قيد الحياة في سنة (٤٤١هـ/ ١٠٤٩- ١٠٥٠م)[١] ويرجّح العلامة التونسي المرحوم حسن حسني عبد الوهاب وفاته عام (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨-١٠٥٩)[٢]

آثاره:

يقول الدكتور الشاذلي بويحيى: "ونحن لا نعرف من آثاره سوى شرحه لأشعار بشار بن برد المقتطفة من كتاب الاختيار من شعر بشار، للأخوين الخالديين، وهذا الكتاب الذي تم نشره سنة (١٣٤٣هـ/ ١٩٣٤م) بعنوان مخطئ وهو المختار من شعر بشار، اختار الخالديين، وشرحه لأبي الطاهر إسماعيل...كان يحمل في الحقيقة – على ما يظهر- عنوان الرائق في أزهار الحدائق."[٣]

= ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٦٣. ترجمة رقم(٩٠٧)./ و كتب عنه ترجمة وافية الأستاذ المرحوم الشاذلي بويحيى ضمن كتابه: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري(٥٥٥- ٣٦٢ه/ ٩٧٢- ١١٦٠م)، نقله إلى العربية: محمد العربي عبد الرزاق، المجتمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون، بين الحكمة، تونس، ط١، ١٩٩٩، ج١، ص٢٤٨ و ما بعدها./ و انظر حول ترجمته كذلك ما كتبه العلامة عبد العزيز الميمني في تصديره للمدونة (المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين)، اعتنى بنسخه و تحقيقه: محمد بدر الدين العلوي ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. عن الطبعة الأصلية لجامعة علّيكرة بالهند (١٩٣٤م) .

(١) :الشاذلي بويحيى: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ج١، ص ٢٤٩، و الظاهر من كلام الباحث أنه اعتمد على كلام ابن الآبار في ترجمته لأبي طاهر إسماعيل التجيبي حين قال: " و وقفت من خط أبي طاهر هذا على ما أرّخه في جمادى الآخرة سنة إحدى و أربعين و أربعمئة." التكملة، ج١، ص ١٥٩.

(٢) :المصدر نفسه: ج١، حاشية ص ٢٤٩.

(٣) : الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ج١: ص٢٥٠، ٢٥١. وهنا نلاحظ أن الدكتور بويحيى يعتمد على كلام ابن الآبار في التكملة ، الذي قال عن التجيبي:"وذكر في الرائق بأزهار الحدائق من تأليفه". ج١، ص١٥٩.ولا دليل يستند عليه الباحث سوى عبارة ابن الآبار هذه، وقد يكون كتاب الرائق بأزهار الحدائق هذا غير كتاب المختار من شعر بشار، وقد يكونان كتابا واحدا.

أما اختياره لشرح شعر بشار بن برد (ت ١٦٧هـ/ ٧٨٣م)، بسبب ما لقاه شعر هذا الشاعر من قبول في البيئة الأدبية العربية من شرقها إلى غربها، فقد وصفه ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) قائلا:"وبشار أحد المطبوعين، الذين كانوا لا يتكفلون الشعر، ولا يتبعون فيه، وهو من أشهر المحدثين."(١)

وبلغت غزارة شعر بشار بن برد و كثرته، بحيث لم يجتمع شعره لأحد ولا احتوى عليه ديوان كما قال ابن النديم (٢) وقد عقّب على ذلك قائلا: " وقد رأيت منه نحو ألف ورقة "(٣) ونظرا لشهرة بشار، وجودة شعره وغزارته فقد " اختار شعره جماعة" كما ذكر ابن النديم (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)(٤) .

وذكر ابن السّاعي علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ) أن أبا عبيد الله المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت٣٨٤هـ)الكاتب الإخباري، قد صنف كتابا في سير أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المُحدثين، ومختار أشعارهم على أنسابهم وأزمانهم جعل أوّلهم بشار بن برد.(٥)

---

(١) : الشعر والشعراء، تحقيق وشرح:أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٧٤٥.

(٢) : الفهرست، قابله على أصوله: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، م١/ ٢/ ص ٥٠٢.

(٣) : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) :الدر الثمين في أسماء المصنفين، حققه وعلق عليه: أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ص١٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي هذا الإطار صنعَ الصنيع نفسه الخالديان*. أبو بكر وأبوعثمان ابنا هاشم، وفي الوقت نفسه تقريبا.

ويدخل اختيار الخالديين لشعر بشار بن برد، في سياق اختياراتهما العديدة منها: كتاب حماسة شعر المُحْدثين، وكتاب في أخبار أبي تمام ومحاسن شعره، وكتاب في اختيار شعر ابن الرومي، وكتاب في اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره.(١)

منهج المؤلف في الكتاب:

الظاهر من المُصَنَّف أنه شرح لاختيارات الخالديين من شعر بشار بن برد، و لكن الباحث المدقق، و الناقد المحقق ليدرك أن شروحات أبي الطاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي تتجاوز الموضوع العام للكتاب إلى

---

*:محمد وسعيد إبنا هاشم وهما من قرية من قرى الوصل تعرف بالخالدية، و كنا شاعرين أديبين، حافظين، سريعي البديهة، قال ابن النديم: "قال لي أبو بكر منهما، و قد تعجبت من كثرة حفظه وسرعة بديهته و مذكراته، إني أحفظ ألف سمر، كل سمر في نحو مائة ورقة". وكان الخالديان قد مدحا سيف الدولة ابن حمدان. وقد عمل أبو عثمان شعره، و شعر أخيه قبل موته، وأحسب غلاما لهما يعرف برشا، عمله أيضا نحو ألف ورقة، كما يقول ابن النديم.

ـ توفي أبو بكر في عام (٣٧٠هـ)، وتوفي أخوه عثمان في عام (٣٧١هـ)، وقيل غير ذلك.

ـ حول ترجمتهما ينظر المصادر الآتية: ابن النديم: الفهرست، م١ / ٢/ ص٥٤٤ وما بعدها. وانظر كلام المحقق عليهما، في هامش الصفحتين، ٥٤٤، ٥٥٥./ ابن الساعي: الدر الثمين، ص١٤١، ١٤٢./ ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). حققه وضبط نصوصه وأعد حواشيه وقدّم له: عمر فاروق الطبّاع. مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٤، ص٢٩٤ وما بعدها. وفي غيرها من المصادر.

(١) :ابن الساعي:الدر الثمين في أسماء المصنفين ، ص١٤١.

تفاصيل أخرى أوسع وأدق، إنه كتاب أدب عام يتمثّل موضوعه ويتجاوزه إلى مواضيع أخرى.

وكانت الاستطرادات هي السمة الغالبة للكتاب، حتى ليَتساءل الباحث أحيانا حول الموضوع الرئيس للمدونة، أهو شرح لشعر بشار؟ أم هو كتاب أدب عام على غرار كتاب البيان والتبيين للجاحظ(٢٥٥ه)، أو عيون الأخبار لابن قتيبة، أو الكامل في اللغة والأدب للمبرد(٢٨٥ه)؟. و بالتالي فلا " يظهر أن الكاتب يحتذي خطّا معلوما يسير عليه في اختيار الأبيات، ولا أنه يتبع منهجا معينا في التأليف، وكأنه يميز بين جزء أول من الكتاب وجزء ثان يليه "[١]

وربما قصد إلى ذلك قصدا، جريا على سنن من قبله من المؤلفين العرب، حيث يقول: " وإذا أفضنا في هذا الحديث ، وأفضينا إلى هذا الباب، فسنذكر منه أوصافا تفرّد بها هذا الجزء من هذا الكتاب؛ ليكون معنى على حدته مشبعا، وفنا متصرفا فيه لقارئه ممتعا، ائتماما في ذلك بكبراء المؤلفين، وجريا على مناهج فضلاء المصنفين، واختلاطا بملكهم وانخراطا في سلكهم."[٢]

وقد يأتي بأمثلة لا تناسب الباب الذي هو فيه ولا ضير، إذ كان قصده الإمتاع، ها هو يقول معقبا على أبيات شعرية للشاعر كُثير عزّة " وها أنا أثبتها وإن خرج أكثرها عن الباب الذي أفضنا فيه إرادة الإمتاع وإتحاف الأسماع"[٣]

---

(١) : الشاذلي بويحيى: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ج١، ص ٢٥١.
(٢) : إسماعيل بن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين، ص ٢٠٢.
(٣) :المصدر نفسه، ص ٣٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعادة ما ينتقل من باب إلى باب ويستخدم لذلك صيغا صريحة مثل قوله: " وسأجول جولة فيما قيل في التفرق والوداع وذكر التشوق والالتياع."(١)

وقد يختصر شعرا أو مقطعة، ويصرّح بذلك قائلا:" وقال الأغلب العجلي في سجاح المتنبية من شعر اختصرته."(٢) وربما استطرد وأسهب في ذكر ما انتخبه في باب من الأبواب، ثم يعود ويقول: " رجع ما انقطع"(٣)

وقد يحصل التردد في انتخاب أبيات شعرية، والدافع هو الوازع الأخلاقي الذي يتمتع به المؤلف، ولكن التردد يقطعه القصد العام من هذا الانتخاب تحت مبرر معين يقدّمه المؤلف، و مثال ذلك قوله: " و مما اخترته من شعر بشار بيتان يصف فيهما هَنَه ... فهَممت أن أسقطهما تنزّها عن الرفث، ثم ذكرت حكايات كثيرة وأحاديث عن السلف رضوان الله عليهم غزيرة كلها تسهّل السبيل إلى إثباتهما فأثبتُّهما."(٤)

وهكذا يمضي في منتخباته الشعرية وشروحاته واستطراداته الأدبية إلى آخر الكتاب، حيث يختمه قائلا: " إلى ههنا انتهى اختيارنا فيما وجدناه من المختار من شعر بشار من صنعه الخالديين."(٥)

---

(١) : المصدر نفسه، ص٢٩٨.
(٢): المصدر نفسه ، ص ٢٠٨.
(٣): المصدر نفسه، ص ٣٠٢.
(٤): المصدر نفسه، ص ٢٠١.
(٥): المصدر نفسه، ص ٣٤١.

النقد اللغوي في كتاب أبي الطاهر إسماعيل التجيبي:

إذا كانت الاختيارات الشعرية تعبر عن الحس النقدي الذي يحوزه مستجيد الاختيار، فهي تجسيد للذوق الفني، والحاسة المعرفية الأدبية، إذ الذوق هو أساس الحكم الفني، والحكم الفني هو النقد عينه.

وبالتالي فإن الشروحات الواقعة على هذه الاختيارات هي نقد كذلك، أو هي نقد النقد إن شئت قلت، وقد عرفت الاختيارات الشعرية في تاريخ العربية أنفس الفرائد، ودرر القلائد، ولم يكن لهذه الاختيارات أن تبلغ من الشهرة ما بلغت، لولا عناية الشرّاح بها، وإحاطتها بتعليقاتهم وتصويباتهم، وآرائهم القيّمة ورؤاهم السديدة.

ويأتي شرح العلاّمة أبي الطاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي البرقي، سليل المدرسة اللغوية والأدبية المغاربية، على اختيارات الخالديين من شعر بشار في هذا السياق.

"إن الناظر في التراث الشعري يجد أن الدراسات التي قامت حوله اتخذت اتجاهين: اتجاه شرّاح دواوين الشعراء، ثم اتجاه نقاد الشعر، من خلال ما يسوقون من آراء في النقد والأدب.

أما شراح دواوين الشعراء فكانوا أقرب إلى أن يكونوا أصحاب لغة أو أهل نحو، أو علماء في الأدب."[١]

إن الباحث الحصيف ذو العين الناقدة والبصيرة النافذة ليدرك من خلال قراءته لهذا الشرح، الرؤية النقدية المتكاملة التي يحوزها شارح

---

(١): طه مصطفى أبو كريشة: النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان/طبع في دار نوبار، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧، ص ١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الاختيار، فقد أنبأت هذه الرؤية عن وجود ناقد متكامل في منهجه، واسع في رؤيته، يحتكم في شرحه للمثل والشاهد والمقطعة والقصيدة، والأبيات المفردة وغيرها.

وإذا كان النقد اللغوي في أبسط مفهوماته "يسعى إلى صون اللغة من اللَّحن والعجمة، ويحفظ لها رونقها وجمالها، فاللغة مادة الفن الأدبي وأساس نبوغ الأديب وتفوقه المتمثل في طريقة تناوله اللغة والتعامل معها"(١).

فاللغة هي لباس النص والحاملة لجوهره ومضمونه وبالتالي"فالنص لا ينفصل عن المادة التي تحمله"(٢).وإذا اعتبرنا النص أحد الأعمدة التي ترتكز عليها الثقافة العربية القديمة، تبينت لنا أهمية المادة الحاملة لهذه النصوص، فعلى الناقد إذن أن يولِيَ هذه المادة أو"هذه الأداة أو الوسيلة عنايته واهتمامه، ويصرف إليها جهده، لأنها الموضوع الأول للنقد، ولأنها الحقيقة الأولى في الفن الأدبي، والأساس الذي ينطلق منه الناقد في معالجة موضوعات النقد عامة."(٣)

وقد اضطلع نقاد اللغة عامة بمهمة تلمس مواطن الصحة والخطأ، أو الجمال والقبح في النصوص الأدبية وخاصة النصوص الشعرية، سواء على مستوى اللفظة المفردة أم في تركيبها العام وموقعها في الجملة.وخاصة بعد

---

(١) : ثائر عبد الزهرة لازم البصير: أمالي المرتضى، بحث في المنهج والنقد والتأويل، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٢٠٦ .

(٢) : عبد الفتاح كيليطو: الكتابة والتناسخ (مفهوم المؤلف في الثقافة العربية)، ترجمة:عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٨، ص ٨٣.

(٣) : ثائر عبد الزهرة لازم البصير:أمالي المرتضى، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

ظهور المختارات الشعرية وبروز عديد الشرّاح الذين نظروا في هذه المختارات، وتعقبوها من حيث بنيتها اللغوية وموافقتها أو مخالفتها لما تواضع عليه العرب في لغتهم، ونظامها المتعارف وسنن العرب وهديها في كلامها.

وإذا كان هذا المنهج قد ظهر في القرن الثالث الهجري مع ظهور طبقة العلماء اللغويين من الجيل الثاني والثالث، ومع بروز ظاهرة الاختيارات الشعرية، فإنه استمرّ بعد ذلك حتى "عند النقاد التطبيقيين في القرنيين الرابع والخامس حيث اعتمدوا مقياس نقد الألفاظ وطبّقوه في ممارستهم النقدية، وحكموا من خلاله على الألفاظ بالجودة أو الرداءة، ذلك أنهم رأوا في الكلمات والألفاظ جمالا وقبحا، واستئناسا ووحشة."(١)

ولا عجب في ذلك، فالشارح/الناقد، والذي يعتني ببنية النصوص المختارة من حيث الألفاظ ومعانيها، إنّما يتخذ على عاتقه مهمة ضبط النص في شقّه اللغوي."وتعد هذه من المظاهر الضرورية لخدمة النص، فإذا كان هذا النص المحقق يعالج قضايا في اللغة وعلوم العربية، فإن التأكيد على ضبطه يصبح أمرا بدَهيا."(٢)

وكان أبو الطاهر إسماعيل يتعامل مع مختارات الخالديين لشعر بشار، أو النصوص الشعرية الأخرى لغير بشار، بوصفها نصوصا مبهمة أو مستغلقة في ألفاظها ومعانيها قد تحتاج إلى خدمة لغوية واسعة.فقد استغل

---

(١) : أحمد محمد نتّوف: النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٢٣٠ (بتصرف).

(٢) : أحمد محمد الخرّاط:منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية من خلال خزانة الأدب، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٦٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشارح/الناقد طاقاته اللغوية ومعرفته الواسعة بها بشكل خاص، فجاء عمله دقيقا، مستوسعا، متفحّصا في غاية الدقة والاعتناء.

وهو زيادة على ذلك دقيق في شروحه اللغوية، مصيب في تفسيراته الدلالية، وقد أبان ذلك كلّه عن معرفته الواسعة بدقائق العربية، يظهر ذلك من خلال تعليقاته وتنوع شواهده، فقد كان يعرف كيف تتفق المعاني وتختلف، وتتجانس الدّلالات وتأتلف، متبعاً خاصّها ومشاعها، فعن هذا الحس اللغوي، وعن هذه الخلفية المعرفية باللغة بنى الناقد رؤيته النقدية وتبلورت شروحاته اتجاه هذه المختارات. وهي قضية جوهرية بالنسبة لرجل مثل ابن زيادة الله التجيبي الذي يدرك أن"الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدلّ على سرائرها، ويُبرز مكنون ضمائرها."(١)

وبما أن النقد اللغوي عبارة عن خطاب، فقد بنى أبو الطاهر إسماعيل هذا الخطاب ورام إلى تحقيق مقاصده إلى طرق لابدّ منها لتحقيق هذه المقاصد والمرامي، والبلوغ بالنص وشروحاته إلى مستوى معين من وضوح المعنى وتبيان الدلالة، بل إلى الصورة المثلى من استيضاح مضمون هذا الخطاب، وكان التفسير اللغوي هو الآلية المعتمدة، إضافة إلى كل الآليات التي تصنع المعنى للنصوص الشعرية المختارة.

ويقوم النقد اللغوي على مستويات ثلاثة، المستوى المعجمي، المستوى الصرفي، والمستوى الإعرابي.

---

(١) : عبد القاهر الجرجاني: كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه :محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، المؤسسة السعودية بمصر، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ٣.

أماّ الشروحات الشعرية بشكل عام فإنها تتخذ مسارات ثلاثة حسب أحد الباحثين: مسارا باتجاه الألفاظ تحليلا وفكاّ، يعقبه مسار باتجاه المعاني بيانا و اكتشافا وإظهارا واستنباطا وتوليدا واستصفاء ورفعا وكشفا، ومسارا باتجاه خطة النص وشرحه تركيبا وبناءً.(١)

وفي خضم كل ذلك استطاع أبو الطاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي أن يرسم لنفسه منهجا، ويختطّ دربا من خلال المعايير والمقاييس التي استخدمها في شروحاته، والتعاليق التي وظفها على اختيارات الخالديين من شعر بشار، وكان هذا المنهج الواضح، وهذه السبيل البيّن لدى الشارح قد ارتكز على:

أ-التفسير اللغوي (الشرح)

ب-نقد الألفاظ.

ج-نقد المعاني.

وسيجيء لكل هذا زيادة بسط فيما يستقبل.

أ-التفسير اللغوي (الشرح):

بما أن النص" يكون عادة عسيرا أو غامضا أو غنيا، فإنه لابدّ من مفسّر أو مؤوّل يوضح جوانبه المظلمة...والتفسير بدوره قد يصبح نصا ويحتاج إلى مفسر جديد"(٢).فكأنّ الشراح يدركون أن القرّاء لا يعرفون تمام المقصود من الكلام، أو من النص الشعري فيرومون الشرح لتبيان تمامه.

---

(١) : أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ١٤هـ/٢٠م (دراسة سانكرونية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩، ص ٣٥.

(٢) :عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠٠٧م، ص١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعلى هذا الأساس فقد غاص التجيبي في شرح ألفاظه وبيان دلالتها، وسار بهذه الشروح إلى أبعد حدود ممكنة من التحليل والشرح والمناقشة، وقد كان في هذه الشروح يمزج بين معارف مختلفة حصلت له، كان النصيب الأوفر منها لمعارفه اللغوية والنحوية والصرفية، والثقافة العربية المستمدة من البيئة العربية بشكل عام.

كان منهج أبي الطاهر إسماعيل التجيبي في التفسير اللغوي يحمل طابعا خاصا وسمة متفرّدة، فهو يكتفي بشرح الغامض من المفردات في أبيات بشار المختارة، ثم يشرح البيت الشعري شرحا مجملا، ثم بعد ذلك يتعقب من ساير الشاعر في هذا المعنى، أو يأتي بالمعنى ونظيره أو صِنوه وما يماثله، مع استضاح طفيف وتلمّس للفروق بين مختارات بشار وما يشاكل هذه المختارات من الأبيات التي تجري على نسقها.وقد يصنع الصنيع نفسه مع باقي النصوص الشعرية التي يسوقها في شرح هذه المختارات.

ومثال ذلك ما أورده من شعر للقتّال الكلابي في الأعناء أنّها النواحي:

عفت قردة من أهلها فجنابها //// فحرّة ليلى سهلها وهضابُها

فرُمّانُ إلاّ كُلَّ أسفعَ ناشطٍ ///// فأعناءُ سلمى ميثُها فلصابها

وتفسير هذين البيتين قوله:"عفت درست، وقردة اسم موضع، وحرّة ليلى معروفة بأرض بني كلاب وللعرب حرار كثيرة معروفة عندهم كحرّة واقم وحرّة سوران ونحوهما.والحرة الأرض السوداء التي تخلطها حجارة سود وهي مع ذلك كثيرة الحر".(١)

(١) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص٧.

وقد يكون شرحه للغريب شرحا موجزا لا يتجاوز اللفظ الواحد أو السطر الواحد والسطرين، وقد يصل إلى فقرة صغيرة. فقد فسّر شطر بيت لذي الرُمّة وهو قوله:"ونقْري سديفَ الشّحم والماءُ جامسُ" أي جامد[١] فلم يزد على شرح الشطر بكلمة واحدة ومثال ذلك كثير عنده.[٢]

وقد يطول التفسير فيتعدى صفحة وقد يطول جدًّا ويستفيض فيصل إلى صفحات عديدة حتى ليخيّل للقارئ أنّ هذا الشرح إحدى مواد أو فصول المعاجم العربية الشهيرة كاللسان وتاج العروس وغيرهما.[٣]

وقد يحيل الشارح في ذكره لبعض الأبيات الشعرية على شرح سابق يدور في هذا المعنى فيكتفي بالإحالة عليه كقوله في تفسير أبيات أبي الأسود الدّؤلي:

إذا قلتَ في شيء نعمْ فـأتِمَّه///// فإنّ نَعَم دَين على الحُرِّ واجبُ

وإلاّ فقلْ لا واسترحْ وأرحْ بها ///// لئَلا يقولَ الناس إنّك كاذبُ

وقد مرّت له نظائر فيما سلف من الكتاب.[٤]

والظاهر أنّ أبا الطاهر إسماعيل، قد أخذ اللغة العربية بحق، وجرى فيها على عرق، فهو الجواد المُبرّزُ في ميدانه مقارنة بجيله من القيروانيين، فقد كان من مفردات العربية على علم، وبتراكيبها وأساليبها على دراية و فهم، وكانت طريقته في التفسير اللغوي متميزة من حيث

---

(١) : المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٢) :حول الشرح المختصر ينظر المصدر نفسه، الصفحات، ٤٦،٥٦،٥٩،٧٢،١٠٠،١٠١.

(٣) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار ، الصفحات، ٢٨، ٢٩، ص ٥٦ وما بعدها، ص ١٠٤، ص ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، وص ٢٢٣ وما بعدها.

(٤) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص ١٣٦، ١٣٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اهتمامه بالألفاظ ودلالاتها المختلفة، والمعاني وتقليباتها المتعددة، وكان دأبه في ذلك وديدنه هو الإكثار من الشواهد المقربة للمسألة من وجوهها المختلفة.

أما النصوص التي سنستشهد بها في شروحاته المختلفة فقد كانت كالآتي:

١)- القرآن الكريم:

كانت البلاغة القرآنية، هي الحجة الأولى لاستشهادات أبي الطَّاهر واحتجاجاته اللغوية أثناء تعرضه لمختلف الشروحات الشعرية، فقد احتج في مختلف تفسيراته للألفاظ الغريبة والمعاني المستغلقة في أكثر من أربعين مرّة.

ففي تفسيره لبيت الشاعر:

ليسَ الفتى كلُّ الفتىَ //// إلا الفتىَ في أدَبِه.

قال: ويكون الفتى أبضا العبد الملوك، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وقَال لفتيته اجعَلُوا بضَاعتهم في رِحالِهم﴾ ويُقرأ لفتيانه أي مماليكه.(١)

وفي تفسيره لقول الأعشى: **وصهباءَ طافَ يهوديُّها //// وأبرزهَا وعليها ختمْ**

وقُرِئ: ﴿ ما كان محمّدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ بكسر التاء وفتحها، قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي النحوي: من كسر التاء فمعناه عليه السلام خَتَم النبيين ومن فتحها فتأويله أنه خُتم به النبيون...(٢) وأمثلة ذلك عديدة من استشهاداته بالآيات القرآنية الكريمة.(٣)

---

(١) : المصدر نفسه، ص ١٣٨.
(٢) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار ، ص١٣٤.
(٣) : المصدر نفسه، انظر على سبيل المثال، الصفحات الآتية:١٥٩، ١٦١، ١٦٩، ١٧١، ١٨٢، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٩٨، ٣١٧.

واستعرض ابن زيادة الله التجيبي مهارته اللغوية ومعارفه في هـذا المجال فوقف لغويا مع عديد الآيات الكريمات، ففي سياق قول الشاعر:

فأودَى السفيهُ بلبِّ الحليم//// وانتشر الأمرُ لم يُبرَمِ

قال:"يقال: أمر القوم منتشر إذا كان شتيتا متفرّقا، والمعزُ أنشرُ إذا كانت متفرقة في المرعى، وانتشرَ الحبلُ إذا تفرقت قُواه، وقولـه تعـالى: ﴿ فإذا قضيتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرْض ﴾ أي تفرقوا عن اجتماعكم لأنه سبحانه وتعالى دعاهم إلى الاجتماع يوم الجمعة للصلوة ثم أمرهم بـالتفرق بعد انقضائها إن شاءوا لأنه أمر إباحة وليس بأمر إلزامٍ".(١) ومثال ذلك كثير من اجتهاداته اللغوية في تفسير آي القرآن الكريم.(٢)

٢)- الحديث الشريف:

كان حظ الحديث النبوي الشريف من استشهادات التجيبـي عظيمـا، حيث إن منزلة الحديث تلي منزلة القرآن الكريم، وكان أبو الطاهر إسماعيل مدركا لهذه الحقيقة، وبالتالي فقد كانت أقوال الرسول الكـريم-صـلى الله عليه وسلم- حجة لغوية لكل التفسيرات المقدمة من طرف الشارح.

ومثال ذلك ما أورده من قول الشاعر:

منْ يجعل اللهُ عليه إصْبعـا //// فِي الخير أو في الشرِّ يلقاهُ معَا

ثم يعضّد شرح هذا البيت بقوله - صلى الله عليه وسلم -﴿ قلـوبُ العباد بين إصبعين مِن أصَابع الله سبحانه ﴾.قال بن دريد أصل ذلك إن شاء الله تقلُّبُ القلوب بين حُسن آثاره تبارك وتعالى...(٣) وغير ذلك من الأمثلـة في هذا المجال.(٤)

---

(١) : المصدر نفسه، ص ١٦٠.
(٢) : المصدر نفسه، الصفحات، ١٤٠، ١٤٣، ١٦١.
(٣) : المصدر نفسه، ص ١٨٣.
(٤) : المصدر نفسه، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٨٣، ١٨٧، ٢٣٣ وغيرها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣)- الاحتجاج بأقوال وآراء الصحابة والتابعين وبعض المفسرين:

احتجّ الشارح في تفسيراته اللغوية، بأقوال كبار الصحابة والتابعين والمفسرين وأهل العلم ممن كانت أقوالهم وآراؤهم حجة عند أهل اللغة وعلماء العربية، كابن عباس وعمر بن الخطّاب وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وقتادة ومجاهد وابن فورك والحسن البصري والطبري، وجملة هائلة من أهل العلم والدين والتصاون ممّن شُهد لهم باليد الطولى في العلم، وسعة المعارف اللغوية إلى جانب المعارف الدينية والشرعية.

حيث نجده مثلا يستشهد بقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَنقَلِبْ إليكَ البصَر خَاسئا وَهو حَسير ﴾ أي ينقلب ذليلا كذلة من طلب شيئا فلم يجده وأُبعِدَ عنه[١].وفي معرض ذكره لقول الراجز:

من ذبّ منكم ذبّ عن حريمه /// أو فرّ منكم فرّ عن حريمه

أنا ابن سيّارٍ على شكيمة //// أنّ الشراك قُدَّ من أديمه

يفسر بعض معاني الراجز بحديث عمر ين الخطاب- رضي الله عنه- إنّ النساء لحم على وضَم إلا ما ذُبَّ عنهُ، أي مُنع.[٢]

ويستشهد بقول قتادة (ت١١٨ه) في معنى لفظ"الجبار"[٣] وبرأي محمد بن جرير الطبري (٣١٠ه) في المعنى نفسه[٤] وبقول مجاهد

(١) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار ، ص ٢٣٢.
(٢) : المصدر نفسه، ص ١٦٤، ١٦٥.
(٣) : المصدر نفسه ، ص ١٦٢.
(٤) : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٠٤ه)في موضع آخر[١] والحسن البصري (١١٠ه) كذلك[٢] وكثيرة هي الأمثلة المتعلقة بهذا الباب.[٣]

٤)- الاستشهاد بالشعر:

تعدّ النصوص والشواهد الشعرية من الثوابت في تحديد ألفاظ ودلالات نصوص شعرية أخرى، وكلما كانت الشواهد الشعرية سابقة لعصر بشار بن برد زادت قوة الاستشهاد وصدقيته، وكأن "الاستشهاد بخطاب الماضي، وذكر الوسطاء الذين بفضلهم شقَّ هذا الخطاب طريقه حتى وصل إلى من يستشهد به"[٤]، رغم أن التجيبي لم يكن متعصبا للشعر القديم، فكثيرا ما زاحمت أشعار المحدثين من الشعراء المشارقة والمغاربة والأندلسيين والصِّقليِّين أشعارَ القدماء وحازت صفحات عديدة من كتابه.

وهذا هو منهج جميع الشرّاح في تاريخ الشروحات الشعرية العربية الطويل، حيث صارت "الثقافة الشعرية عندهم هي الحد الأدنى لممارسة الشرح ، إذ لابدّ من إثرائها بضروب أخرى من الثقافات التي لها صلة باهتمام الشارح من بعيد أو قريب".[٥] ولذلك فإن" الشواهد ذات الوظيفة اللغوية هي بصفة عامة معينة للتاريخ على فهم النصوص الأصول، وتمثل مكوّنا أساسيا في ثقافته إذ لا يُتاح له التعامل مع شعر الشاعر ، أي شاعر،

---

(١) : المصدر نفسه، ص ٢٥١.

(٢) : المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٣) : المصدر نفسه، الصفحات، ١٣٠، ١٨٤، ٢٧٣، ٣٣٩ وغيرها .

(٤) : عبد الفتاح كيليطو:الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، ص ٣٣.

(٥) : أحمد الودرني:شرح الشعر عند العرب، من الأصول حتى القرن ١٤هـ/٢٠ م، ص١٠٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إلا إذا كان متمكّنا من نصوص شعراء آخرين قد يكونون أضرابا لذلك الشاعر أو سابقين له، أو لاحقين به."[١]

ففي ذكره لأبيات بشار بن برد الشهيرة:

إذا الملك الجبّار صعَّرَ خدّه /// مَشينا إليه بالسيُوف نعَاتبُه

وأرعنَ يغشى الشّمسَ لونُ حديده /// وتحبس أبصار الكماة كتائبُه

تغصُّ به الأرض الفضاءُ إذا غدَا /// تزاحمُ أركَان الجبال مناكبُه

ركبنا له جهرا بكلِّ مُثقّف /// وأبيضَ تستسقي الدّماءَ مضاربُه

كأنّ مثار النّقعِ فوق رؤوسنا //// وأسيافُنا ليلا تهَاوى كواكبُه.(٢)

وبعد أن مضى الشارح يستقصي أشعار طائفة من الشعراء ممّن ساروا على هدي أبي معاذ في معنى هذه الأبيات أو قِسم منها، انتقل إلى تفسير معنى بعض أبيات هذه المقطعة، واستلزم الأمر منه الاعتماد على أبيات شعراء آخرين فقال:"وأما قوله: وأرعنَ يغشى الشّمسَ لونُ حديده.

البيت و الذي يليه فمثلهما قول الشاعر:

لقينا بني عمرو وأفناءَ مِذحجٍ /// لدى الحرَّة الرجلاء في طرف العُقر

بجيش تضلّ البُلقُ في حجراته /// ويغشى شعاع الشمس بالأنجم الزُّهر

يعني بالأنجم الأسنّة، ومثله لأوس بن حجر..."[٣] ويمضي هكذا مسترسلا في شرح الأبيات، وهو في كل شرح يسوق أمثلة لنظائر كل أبياته التي هو بصدد شرحها.

(١) : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص ١.
(٣) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار ، ص ٣.

وقال في موضع آخر:"وقول أبي معاذ (بشار) من قصيدة:

شربنا من فؤاد الدَّنّ حتى /// تركْنَا الدَّنَّ ليس لَهُ فؤادُ

وليس الجود منتحلا ولكن /// على أعراقها تجري الجيادُ

ويومِ في بني جُشَم بن بكر /// نعَمْتُ به وندْماني زيادُ

إذا ما شئتُ غنّاني كريم /// له حَسب وليس لَه تِلادُ

ثم يسترسل في شرح الأبيات شرحا لغويا، ويعضّد هذا الشرح بنظائر لشعر بشار من شعر غيره.(١)

وقد يحدث وأن يفسر الشارح شعر بشار، ويجد له نظائر من شعر بشار نفسه، وهذه لفتة مهمة من أبي الطاهر إسماعيل، ومن ذلك ما أورده من أبيات لأبي معاذ:

وجوارٍ إذا تحلّيْنَ لم تدرِ /// جوارٍ في حليها أم ظباءُ

يتعرّضن لي بفاترة الطرْ /// فِ إذا أقبلتْ ثناها الحياءُ

وحديثٍ كأنّه قِطَعُ الرّو /// ضِ ففيه الصفراءُ والحمراءُ

وهذا كقوله:

وكأنّ رجْعَ حديثها /// قطعُ الرياض كُسِينَ زهراَ

وكأنّ تحت لسانها /// هاروتَ ينفُثُ فيه سحراَ

وتخالُ ما جمعتْ عليه /// ـه ثيابهَتا ذهبا وعِطراَ

وذكر له كذلك أبياتا أخرى بعد هذه الأبيات، وكلها تفسير للمقطعة الأولى.(٢)

وهكذا يجري الشارح على هذا النسق في معظم أجزاء الكتاب.

---

(١) : المصدر نفسه، ص ٤٢، ٤٣.
(٢) : المصدر نفسه ، ص ٣٣، ٣٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥)- الاحتجاج بآراء اللغويين:

قامت شروحات أبي الطاهر التجيبي لمختارات الخالديين من شعر بشار على الدراسة اللغوية المستوسعة والمستفيضة.وهي ركيزة أساسية وأمر لا غنى عنه في فهم هذه الاختيارات الشعرية بشكل عام، فمن شرح الألفاظ وتبيان الدلالة العامة، وتفسير المعاني وذكر وجوهها المتعددة، وتَبيُّن مواضع الإعراب من ذلك، وهذه هي الخطوة الأولى للنقد الأدبي في الدرس النقدي العربي القديم.

وهو يروم إلى تحقيق ذلك، إمّا مفسرا شارحا، أو مقوّما للألفاظ ودلالتها، مثبتا صحة ما تناوله مَن سبقه مِن علماء اللغة والنحو، أو معارضا لذلك مع الإتيان بالدليل في كلا الحالتين، وقد يعتمد في شروحاته تلك على رأي واحد أو مجموعة آراء، وأحيانا أخرى يقدم تفسيرا أو شرحا لغويا من دون تحديد مصادره.وقد أعانه على ذلك سعة محصوله اللغوي ووفرة معارفه بدلالة الألفاظ وتراكيبها.

فكانت شروحاته اللغوية وأحكامه النقدية في هذا المجال صادرة عن ثقافة موسوعية، مستندا في ذلك راجعا إلى أصول عامة يطمئن إليها الناقد اللغوي، ويعتمد عليها في تمييز المادة اللغوية التي احتوتها هذه الاختيارات.

هذه الأصول اللغوية هي ما تعارف عليه العرب وتواضعوا، وأقرَّها علماء اللغة وجعلوها قواعد وقوانين وأصول يَحتكم إليها كل ناقد لغوي، أو كل ناقد بشكل عام يستخدم هذه الأداة الإجرائية في تقويمه للنصوص الأدبية (نثرية أو شعرية).وكل ذلك له ما يبرّره فقد " لعبت هذه الفئة من اللغويين

دورا بارزا في العناية باللغة وفصاحة التركيب تعريفا وتعليما"[١] كما ركّز اللغويون عملهم في تنمية الذوق الأدبي على طريقة العرب، لأن لذلك ما يبرّره من تبنّيهم الحفاظ على الأداة العربية.[٢]

أما العلماء الذين احتجّ الشارح بآرائهم اللغوية، فهم الصفوة المبرّزون في تاريخ هذه اللغة، كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي علي القالي وأبي عمرو الشيباني وثعلب وأبي زيد الأنصاري وأبي حاتم السجستاني والزجاجي والأخفش والزجّاج وغيرهم من الفطاحل.

ففي ذكره لمقطعة من شعر بشار منها:

طال الثّواء على تَنظُّرِ حاجةٍ //// شمطتْ لديك فمن لها بخضابِ

قال: الثواءُ المقام، يقال: ثوى الرجل يثوي ثواء فهو ثاوٍ... وأبو عبيدة وأبو الخطّاب يقولان: ثوى وأثوى لغتان... وقال الأصمعي: لا أعرف إلا ثوى يثوي، وأنكر أثوى.[٣]

ويقول في موضع آخر: وفي الحيّة لغتانِ عِرْبِد بالتخفيف بكسر الباء، وعَرْبَدّ بفتح الباء وتشديد الدال، ويستشهد بقول أحد الشعراء في القول الأول، وقول الرقاشي في الرأي الثاني.[٤]

ويستمر في عرض مختلف الآراء حول مواد لغوية مختلفة.[٥]

---

(١) : مصطفى عليان عبد الرحيم:تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م/١٤٠٧هـ، ص ١٤.
(٢) : المصدر نفسه، ص ١٥.
(٣) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص ١١٠.
(٤) : المصدر نفسه، ص ٢٣٠.
(٥) : المصدر نفسه، الصفحات الآتية مثلا، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد يذكر رأيين مختلفين ويفاضل بينهما، كما حصل في مفاضلته بين ثعلب والمبرّد[١]، وتبرز ثقافة الشارح اللغوية، وسعة معارفه، بنقده لآراء غيره اللغوية، وإبراز ذاتيته، فقد علّق على رأي أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الذي خطّأ قتادة في تفسيره لكلمة (جبّار) وانتصر لرأي قتادة على أبي جعفر.[٢]

وقد طرح أبو الطاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي قضية مهمة جدًّا متعلقة بالدلالة العامة لبعض النصوص الشعرية، حيث لا يحصل ذلك إلا بالتوقيف، ففي ذكره لقول الشاعر:

مازلن يُنسينَ وهْن كلَّ صادقة /// باتتْ تُبشرُ عُـرْمًا غيرَ أزواجِ

حتى سلكْنَ الشّوى منهنَّ في مَسَك/// من نسْل جوّابة الآفاق مِهْداجِ

قال :"هذان بيتا معنى لا تعرفه إلا بالتوقيف، وتفسيرهما على ما ذكره يعقوب بن السِّكيت فقال...وساق التفسير."[٣] فقد توقف عند ما انتهى إليه الآخرون، وكأن التوقيف هنا قانون ملزم لكل من تعرّض لتفسير أو شرح هذه اللغة.

وهو ربما في استعراضه لآراء علماء اللغة وذكر مرجعياته المختلفة، قد يذكر بعض كتبهم ومؤلفاتهم، من ذلك قوله:" وقال أبو العباس ثعلب في كتاب الفصيح"[٤] رغم أنه في الغالب الأعم يستعرض آراء

(١) : المصدر نفسه، ص ١٤٩، ١٥٠.
(٢) : المصدر نفسه، ص ١٦٢، ١٦٣، وانظر كذلك ص ٢٦٠.
(٣) : المصدر نفسه، ص ٢١٨، ٢١٩.
(٤) : المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

الغير من دون تحديد مصادر آرائهم وأقوالهم.وقد تزول الإحالة في ذكر بعض شروحاته اللغوية، مثل قوله:"ويقال" وغيرها من الصيغ الأخرى.(١)

٦)- نقد الرواية وتوثيق النصوص:

استغرق كتاب التجيبي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين" أكثر من ثلاثمائذة وأربعين صفحة، وقد ضمّ شرحه لهذه المختارات مرويات عديدة شعرية ونثرية وآراء لغوية ونحوية وصرفية وأخبار شتى.

وطبيعي أن تتفاوت هذه المرويات في الصحة والنسبة والخطأ والصواب قوة وضعفا، فلابدّ أن تستبين رؤية الشارح حول هذه المرويات، وأثرها العام في توجيه الشرح والدلالة."ولا شك أن للرواية أثرا واضحا في النقد اللغوي، فقد رافق الرواية ونشط بنشاطها.إذ حفظت لنا كتب اللغة والأدب ألوانا منه لم تكن لتظهر لو لا الرواية".(٢)

فقد كشف لنا ابن زيادة الله التجيبي عن العلاقة بين الرواية في تأرجحها بين الشكّ والإثبات وأثر ذلك في استيضاح معنى النص.

ففي الصفحات الأولى من كتابه قال:"ورأيتُ بَعد نظري في اختيار الخالديين وما اخترته منه شعرا منسوبا إلى بشار فيه من هذه الأبيات أبيات تخالف الرواية وهي:

يكاد القلبُ من طرب إليهم /// ومن فرط الصبابةِ يُستطارُ

ثم أكمل باقي الأبيات وقال: "فهذه الأبيات كما ترى، رواها أبوالعباس المبرّد ونسبها إلى بشار، وهذا شرح ما في هذه الأبيات من الغريب."(٣)

---

(١) ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، الصفحات الآتية مثلا،٥٦، ٥٧،٢٠٠ وغيرها.
(٢) : ثائر عبد الزهرة لازم البصير: أمالي المرتضى، بحث في المنهج والنقد والتأويل ، ص٢٢٢.
(٣) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وذكر في موضع آخر من الكتاب أبياتا ليشار بن برد:

هل تعلمينَ وراءَ الحُبّ منزلةً /// تُدني إليكِ فإنّ الحُبَّ أقصانِي

ثم استرسل في ذكر باقي الأبيات، وقال:"أمّا البيت الأول من هذه الأبيات فليس لبشّار وإنّما استعاره وبنى عليه سائر أبياته، وهو ليعقوب بن عبد الرحمن المخزومي، وقد ادّعاه أيضا غيره."(١)

وقد فاضل إسماعيل بن زيادة الله في موضع آخر من الكتاب بين بعض أبيات بشار بن برد وأبياتا للبيد فقال: وأتمّ من بيت بشار معنى وأبين شرحا قول لبيد بن ربيعة:

ومَقَامٍ ضيّقٍ فرَّجْتُهُ //// بلسَانِي وحُسامي وجدَلْ

لو يقوم الفيلُ أو فيَّالُه //// زلَّ عن مثل مقامي وزَحلْ

ثم يقول:" هكذا وجدت بيت لبيد كما كتبته – بلساني وحسامي وجدل – وليست لي في شعر لبيد رواية أعوّل عليها، وصناعةُ الشعر توجبُ أن يكون.بسناني وحسامي، ليزيد المعنى بذكر السنان ولئلا يتكرر؛ لأنَ قوله وجدل يغني عن ذكر اللسان إذ لا يكون الجدل إلا به.(٢)

٧)- الثقافة البيئية (ثقافة المجتمع العربي) ودورها في التفسير اللغوي:

كان أبو الطاهر إسماعيل التجيبي مدركا بأن " النص له مدلول ثقافي"(٣) وبأن النصوص الشعرية ومختلف الشواهد والمختارات لا يمكن بها

(١) : المصدر نفسه، ص ٤٨، ٤٩.
(٢) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص ١٦٤.
(٣) : عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، ص ١٨.

أن تنفصل عن السياق العام الذي نشأت فيه؛حيث يلعب هـذا السـياق دورا مهما في توجيه المعنى العام للنص.

إنّ الشارح وفي ممارسته للنقد اللغوي وفي شرح النصوص بالطرق المختلفة يدرك أن هذه الممارسة النقدية وحدها قاصرة مالم تستند إلى ثقافة عامة تاريخية، أو محيطة بسياق تلك المختارات الشعرية من شعر أبي معاذ وغيرها، حتى تكون القراءة اللغوية عنده تكاملية، وبالتالي التعامـل مـع الشواهد والنصوص أو الاختيارات بشكل أوسع.

لقد أسهم التجيبي في سبيل فهم أعمق وأدق للمختـارات الشـعرية، في تنزيل هذه النصوص المشروحة والتي اختارها الخالديان، ضمن شـبكة الأحداث التي حفّت بهـا، وكانت سببا في ميلادها ونشوئها من بعيد أو من قريب، كالحوادث التاريخية والسياسية والاجتماعيـة، والثقافـة العامـة للمجتمع العربي ومختلف الظروف المصاحبة، وهي مقـوّم أساسـي مـن مقوّمات النقد الحديث، ما يجعل تفسيره أكثر وضوحا وتقويمه أكثر دقة.

وإن كشفت لنا هذه الطريقة في استجلاء المعنى واستيضاحه، وذلك بتبيان الظروف التي أسهمت في خلق النص، فإنها من وجه آخر كشفت لنا ثقافة الشارح و بُعد نظرته نحو مقصدية النصوص.

وفي هذا الإطار يقول أحد الباحثين:"إن الاحتفاء برصد أحـداث لهـا صلة ببيت شعري من النص أو نحو ذلك يجسّم حرص الراوي/الشارح على توثيق القول في فروعه بالإطار العام الذي أنشئ فيه."[١]

(١) : أحمد الودرني:شرح الشعر عند العرب، من الأصول حتى القرن ١٤هـ/٢٠ م، ص ٤٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي هذا الصدد يمكن أن نقول "إن المقام ينهض على عدة أطر تتواصل تراكبا أو تعاقبا، ويعمد الراوي إلى أن ينزّل ضمنها النص الشعري باعتباره حدثا قوليا يرتبط بأحداث غير لسانية مؤثرة فيه فاعلة."(١)

والأمثلة كثيرة عند المؤلف، ففي معرض حديثه عن معنى الشِّغار، يربط التفسير اللغوي ببعض ما كان من عادات الجاهليين وأخلاقهم في "نكاح الشِّغار" فيقول: " تشغري، أي ترفَعي إما رجلَك وإما ثوبك طلبا للنكاح من شدّة الشَّبق، يقال شغرت تشغر شغرا إذا فعلت ذلك، ومنه نكاح الشِّغار المنهي عنه في الحديث، وقد كان ذلك في الجاهلية وهو: أن يزوّج الرجل امرأة هو وليُّها على أن يزوجه الآخر مثلها ويعقدا بينهما النكاح على ذلك من غير صداق عاجل ولا آجل..."(٢)

وفي موضع آخر من الكتاب وفي تفسيره لمادة (عذل) قال:" العذل أحرّ العتاب وأمَضُه، ومنه قيل: أيّام معتذلات إذا اشتدَّ حرُّها... ومن أمثال العرب "سبق السيف العذل".وسبب هذا المثل فيما ذكر أنه كان بالحرم رجل من العرب اسمه ضبّة ..." وساق الخبر بطوله.(٣)

ويمضي المؤلف على هذه السبيل في استجلاء معاني النصوص وردّها إلى السياق العام الذي نشأت فيه، ويذكر في بعض شروحاته اللغوية قائلا:"والخِلاط مصدر خالط مخالطة وخِلاطا ويُكنى به عن النكاح كما قال خوّات بن جبير الأنصاري:

شَغَلْتُ يديها إذْ أردتُ خلاطها /// بِنِحْيَين من سمْنٍ ذَوَى عُجُرَاتِ

(١) : أحمد الودرني:شرح الشعر عند العرب، من الأصول حتى القرن ١٤هـ/٢٠ م، ص ٤٤.
(٢) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص ٢٢١.
(٣) : المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

وهذا يقوله خوّات لذات النِّحيين وهي امرأة من تيم اللاّت من ثعلبة وكانت تبيع السَّمْنَ في الجاهلية..."[١] وذكر القصة بتمامها.

وتجده في مواضع أخرى من الكتاب يستعرض بعض الأخبار التي جرت في الجاهلية، ثم يأتي إلى تفسير تلك النصوص، فيتقدّم الشاهد والخبر على التفسير، عكس ما صنع مع الأمثلة السابقة، ومثال ذلك ما أورده من قصة أم ورد الأعرابية مع شيخ صحبَ قومها في طريق الحجاز وكانت فيهم...[٢]

وقد يسلك المؤلف درب الأسطورة سبيلا إلى صوغ تفسير لغوي مقنع لمختلف شواهده ومختاراته ومواده اللغوية الكثيرة والمتشعّبة، فاعتماده على الأساطير العربية في تحليل وتفسير اللغة العربية تجعله يبدو وكأنه مصرٌّ على أن الخطاب الشعري من خلال اختيارات الخالديين أو مختاراته هو – بوصفه خطابا أدبيا– لا يمكن فهمه بمعزل عن الخطابات الأخرى، وأن محاولة فهم الخطاب اللغوي بمعزل عن الخطابات الأخرى أو الثقافة التي احتضنته هو محاولة مبتورة، مشينة للمعنى.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في هذا المقام:" الصدى اسم العطش، والصدى أيضا ذكر البُوم، والعرب تزعم أن القتيل إذا لم يُثأرْ به خرج من رأسه طائر يسمى الصَدَى فلا يزال يصيح اسْقُوني حتى يثأر بالقتيل الذي خرج من رأسه، ثم أنشد قول الشاعر...[٣] ومضى المؤلف على هذا النحو في مواضع أخرى من الكتاب.[٤]

---

(١) : المصدر نفسه، ص ٢٣٤، ٢٣٥.
(٢) : المصدر نفسه، ص ٣٣٨، ٣٣٩.
(٣) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار ، ص ٥٦.
(٤) : المصدر نفسه، الصفحات الآتية:١١٩، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ٢٩٨، ٣٤١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب- نقد الألفاظ:

تشكل اللغة أهمية كبرى في حياة الإنسان فهي أداة تواصل ووعاء تجارب، وإحدى الدعائم الأساسية في حياة البشر، فبدونها تستحيل حياة الجماعات والأفراد.

كما أنّ" اللغة قوام الأدب وعنوان وجوده، وإذا كانت اللغة تكشف عن تجربة المبدع وأفق تخيُّله، فإنها للنقد تقدِّم وعي الناقد، وذِهنيته ومستوى معالجته وانتمائه وحدود موقعه"(١).

وعلى هذا الأساس فقد" نشأ العربي في ثقافة ترى إلى اللغة بوصفها صورته الناطقة، وبوصفه صورتها الشاعرة والمفكرة"(٢) فاللغة في الوعي العربي الأصلي، تبدو وكأنها الكائن نفسه، ويبدو علمها علم الكائن.(٣)

هذا الكائن الحي الذي حفظ للعربي ثقافته وكيانه ووجوده وخلّد آثاره، كان لا بد من صونه حتى يحافظ على ديمومته واستمراره، وبالتالي فسنُّ القوانين، وتقعيد القواعد، ومؤاخذة من يخرج عن هذه القواعد في القول والنظم من المؤكدات.

وإذا كان" النص الأدبي قدرة متحققة تُستعمل فيه اللغة استعمالا فعّالا"(٤) فهي عند الأديب أكبر من كونها أداة تفاهم وتواصل، فهي عنده أداة الخلق الفني، وهي عنده غاية بنفسها."(٥)

---

(١) :عبد السلام محمد رشيد: لغة النقد العربي القديم بين المعيارية والوصفية حتى نهاية القرن السابع الهجري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٧١.
(٢) :أدونيس: الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٩٣.
(٣) :المصدر نفسه، ص ٩٤.
(٤) :عبد السلام محمد رشيد: لغة النقد العربي القديم بين المعيارية والوصفية، ص ١٤.
(٥) :ثائر عبد الزهرة لازم البصير: أمالي المرتضى، بحث في المنهج والنقد والتأويل، ص٢٠٧.

وإذا كانت اللغة عند الأديب أداة الخلق الفني، فهي عند الناقد" لغة الفكر الأدبي الذي يمثله النشاط النقدي بأجلى صورة وأوضحها"[١]بل هي من أهم أدوات الناقد؛ لأنها السبيل الأوحد لممارسته التقويمية على النصوص الإبداعية، كما أنها المصدر الأساسي لدراسة الناقد وسلامة أحكامه.

ومعرفة الألفاظ، غريبها وحُوشيها، ودقائق معانيها، مما يحتاجه كل ناقد حصيف، خاصة عندما يتناول شعر القدماء وإبداعاتهم، حيث تزدحم الألفاظ الغريبة، والمعاني المستغلقة، وربما الكلمات المستعصية، كما يكثر فيها تصرف الشاعر في فنون الكلام، حينها ينصرف الناقد وخاصة اللغوي إلى تمييز ألفاظ الخطاب لهذا المبدع أو ذاك، مجريا نصوصه على القواعد اللغوية، مميزا مادة العمل الأدبي، محكِّما كل ذلك على قاعدة الخطأ والصواب، أو على قاعدة موافقة أو مخالفة لغة الخطاب الإبداعي لسنن العرب في كلامها.

ولكن يجب أن يقرر الناقد إلى جوانب القوانين والقواعد التي يجُري عليها أحكامه بالنسبة للنصوص الأدبية" فالظاهرة الأدبية مادة لغوية أساسا، فكيان الشعر هو كيان لغوي، أي لفظ ومعنى، ولكن لذلك الكيان صانعا هو الشاعر الذي أنشأ الألفاظ والمعاني نتيجة فِعل في اللغة أفضى إلى فِعل في المتقبّل".[٢] فالنص مادته الأولية (ألفاظ ومعان) صاغها صائغ على نحو ما.[٣]

---

(١) :عبد السلام محمد رشيد: لغة النقد العربي القديم بين المعيارية والوصفية، ص ١٤.

(٢) :أحمد الودرني: قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ٧هـ/١٣م. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط١،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤ م،ج١،ص ٣١١.

(٣) :أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ١٤ هـ/ ٢٠م، ص ٣٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأي صائغ في هذه المختارات التي شرحها أبو الطاهر إسماعيل التجيبي؟ إنه بشار بن برد حامل لواء التجديد في الشعر العربي القديم، وأشهر مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، فقد كان " بشار بن برد في أساس الخروج على الشفوية الشعرية الجاهلية، وابتكار لغة الشعرية الكتابية، أو لغة الحاضرة بديلا لِلُغة البادية."(١) وكان الشارح مدركا لهذه الحقائق كلها، واضعا في تقديره العام ألفاظ أبي معاذ في نصوصه الشعرية، والقواعد اللغوية الصارمة للعربية في الحسبان. ومن خلال استقرائنا العام للأحكام التقويمية التي أجراها ابن زيادة الله التجيبي على شعر بشار، هو أن الشاعر قد تخيّر ألفاظا أصاب بها بلاغة المعنى، ووافق بها سلامة المبنى. ومثال ذلك ما ذكره في أحد مواضع الكتاب، وبعد أن ذكر معنى لأبي معاذ (بشار) في وصف الليل، وأعقبه بذكر أبيات لعدة شعراء كابن المعتز وأبي الحسن علي بن محمد التهامي والمتنبي وغيرهم، قال معقبا على كلّ ذلك:" وبيت أبي معاذ أرجح ولفظه فيه أملح، وكل من أخذ هذا المعنى فقد وقع دونه وقصر عنه."(٢)

ويجري الشارح أحكامه في قضية اللفظ على أساس الدقة في اختيار اللفظ من قبل الشاعر ومدى الاتفاق أو التناسب الحاصل بين اللفظ ومعناه ومدى مطابقته لمعناه الأصلي الذي وضع له، والموضوع الذي قيل فيه، ففي ذكره لمعنى (الخفوق) وبعد أن أورد عدة أبيات لمجموعة من الشعراء على رأسهم بشار بن برد قال:" ومعنى الخفوق كثير جدًّا إلا أن بشارا أغرب بذكر الكُرَة وذكر علّة الخفوق وأخبر أنه غير منتفع بها ولا وادع بسببها

(١) :أدونيس: الشعرية العربية، ص ٥٦.
(٢) :ابن زيادة الله التجيبي: المختار شعر بشار ، ص ٢٥.

وكُلّ ذلك في بيت، فكأنه استظهر شيئا على الجماعة، بتمكُّن بيته في الصناعة."[١]

أما مناسبة الألفاظ لمعانيها ومشاكلتها إياها فمِن أوكَدِ القواعد عنده والتي يُجرى عليها أحكامه، ففي حديثه عن أحد المواضيع قال: " ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى لفظا وأتمه معنى قول القطامي... وذكر الأبيات."[٢]

أما تلخيص المعاني بأحسن الألفاظ وتهذيبها فهو من الثوابت التي يُصرّ عليها الشارح ويجعلها معيارا لأحكامه في هذا المجال. ففي تعقيبه على أبيات أبي الطيب التي قالها في رثاء فاتك، قال: وأخذه أبو الطيب من أبيات عبيد بن أيوب العنبري، فلم يأت بطائل أكثر من جمع هذه الأشياء في بيت وذلك لمن هو دونه سهل متسع وممكن غير ممتنع. وفضل اللاحق، إنما هو في حسن العبارة ووضوح الإشارة وتلخيص المعنى بأحسن لفظ وتهذيبه وإدنائه من الفهم وتقريبه، والفضل عندي في هذا المعنى لِلَيلى بنت طريف بالاختراع، واستغراقها إياه بأحسن لفظ في مصراع."[٣]

واختصار اللفظ لعديد المعاني من المسلمات التي يعتقدها الشارح ويؤكد عليها في حديثه عن الألفاظ، ويجري المفاضلة بين النصوص الشعرية على هذا الأساس.

---

(١) : المصدر نفسه، ص ١١، ١٢.

(٢) :المصدر نفسه، ص ٤١.

(٣) :المصدر نفسه، ص ٣٢، ٣٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن ذلك إيراده لبعض أبيات بشار بن برد في قصيدة وهي من جيد شعره كما قال:

خُلِقْتُ علَى ما فِيَّ غير مُخَيَّرٍ /// هوايَ ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذّبَا.

أريدُ فلا أُعطَى وأُعْطَى ولم أردْ /// ويقصرُ علمِي أن أنَال المغَيّبَا.

وأكمل باقي الأبيات، ثم قال: المهذب الكامل الأخلاق المصفّى الشيم من شوائب النقص قال النابغة:

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلُمُّه /// علَى شَعَثٍ أيُّ الرجَال المُهذّبُ.

مثل بيت النابغة هذا لفظا ومعنى قول الآخر:

ولستَ بمستبقٍ صديقا ولا أخ /// إذا لم تَعَدّ الشيء وهو يريبُ.

إلا أن بيت النابغة أفضل؛ لاختصار لفظه وزيادة معناه على هذا..."[١]

وفي الموضوع نفسه يورد أبياتا لأبي معاذ من قصيدة طويلة منها:

فتى لا ينام على دمنةٍ /// ولا يشرب الماء إلا بدمْ

إذا قال تمّ على قوله /// ومات العناءُ بلا أو نعمْ

فقد أورد شرحا طويلا لهذه الأبيات وما يجري على نسقها ثم قال: "... وقوله مات العناء استعارة حسنة واقعة موقعها وحالّة موضعها بأوجز لفظ وأتمّه وأكمل معنى وأعمّه."[٢]

(١) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعار بشار، ص ١١٨.

(٢) :المصدر نفسه، ص ٧٨.

كما تحدث في مواضع أخرى من الكتاب عن " عذوبة اللفظ وقوة الصنعة والرجاحة"[١]وقد يستحضر نقد غيره في موضوع الألفاظ، فقد روى قصة بشار بن برد الذي أنشد قول كُثّير بن عبد الرحمن:

ألا إنمَا ليلى عصَا خَيْزُرَانة /// إذا غمزوها بالأكُفِّ تلينُ.

فقال: ما لأبي صخر قاتله الله يزعم أنها عصا ويعتذر أنها خيزرانة والله لو قال: عصا مخٍّ أو عصا زُبد لكان قد هجّنها بذكر العصا، هلاّ قال كما قلت وأنشد– وحوراء المدامع من معد – والبيت الذي بعده[٢].

وهكذا يمضي الشارح في تقصّيه لقضية الألفاظ وسلامتها، ومشاكلتها لمعاينها، أو اختصارها لمجموعة من المعاني المتعددة مع عذوبتها، على هذا النسق في شروحاته كلها، وهي خطوة مهمة وصائبة من خطوات النقد اللغوي.

ج- نقد المعاني:

لا يحسن الحديث عن القواعد التي تقِيم اللفظ دون الحديث عن المعاني، فكلاهما وجهان لعملة واحدة ، فبتشاكلهما تكتمل الدلالة العامة للنصوص الأدبية شعرية كانت أو نثرية. وبعض النقاد يغالي في تقديس المعنى وإضفاء هالة عليه، ومن هؤلاء عبد القاهر الجرجاني الذي يقول:" الألفاظ خدم المعاني والمصرّفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقّة طاعتها"[٣]

---

(١) :المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٢) :المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٣):أسرار البلاغة ، ص ٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعلى أساس ضبط المعاني ووضوحها وعدم خروج الشاعر عن القواعد النحوية والصرفية والذي يؤدي إلى فساد المعنى بشكل عام، فاللغويون عادة ما يعيبون الخروج عن القاعدة النحوية أو الصرفية حتى يسلم التعبير، وإن كان الأدباء يدعون" إلى استعمال الحسن من قواعد النحو (مليح النحو)"[١]

وقد أجرى التجيبي أحكامه في شروحاته للشعر على أساسين هما: النحو والصوف.

أولا: **نقد النحو**:

اعتنى التجيبي بالنصوص الشعرية المتضمّنة في هذه الاختيارات؛ أي باللغة متنها وصرفها ونحوها " فالعمل اللغوي تشكُّلٌ لغوي من الجمل والعبارات"[٢].

أليس استقامة النصوص الشعرية معقودا بسلامة اللغة في كل الأحوال؟ فالنحو في الكلام كالملح في الطعام، إذ المعنى أن الملام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد، إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص[٣] كما أن الكلام لا يمكنُ إصلاحه إلا " بإجرائه على حكم النحو"[٤]

---

(١):مصطفى عليان عبد الرحيم: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص ١٦٠.

(٢): لطفي عبد البديع: التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجمان، ط١، ١٩٩٧م، ص٦٤

(٣): عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص٧١، ٧٢.

(٤): المصدر نفسه، ص٧٢.

وعليه فإن فساد النظم عند التجيبي –كما هو الحال عند سائر النقاد من اللغويين والنحاة– إنما يرجع إلى عدم مراعاة الشاعر للأصول والقواعد النحوية، وسلامة الصيغ الصرفية، فما يقال من جهة الناظم متجاوزا سنن العرب في كلامها إنما هو عيب اتجاه النظم والتأليف، وأن ادعاء عكس ذلك معقود بناصية القواعد النحوية.

وعلى هذا الأساس استغلّ الشارح/الناقد النحوَ وأصوله الثابتة فيما يثبت من رواية أو معنى أو يرده حسب صلاحه أو فساده أو موافقته ومخالفته لتلك القواعد والأصول.

فقد أورد بيتا من الشعر من قصيدة في سبعة أبيات وهو:

قالت تدعْنا بلا صُرم ولا صلة /// ولا صدود ولا في حال هجران(١)

ثم نقل رأي الزجّاجي في هذا البيت قائلا:" قال الزجاجي: قوله – تدعْنا– مجزوم بلام مضمرة وذلك جائز في ضرورة الشعر ومعناه لِتدعنا، قال: وأنشد سيبويه:

مُحمد تفْدِ نفسكَ كلّ نفسٍ /// إذا ما خِفْتَ من أمرٍ تبالا(٢)

فقد أقر الشارح رأي غيره في هذه المسألة وحاول تصدير هذا الرأي والجمع بين القاعدة النحوية والضرورة الشعرية.

ولا يفوّت التجيبي فرصة الحديث عن الضبط النحوي وأثره في توجيه المعنى إذ "الإعراب هو أن يعربَ المتكلم عما في نفسه ويبيّنه

---

(١): المختار من شعر بشار، ص٤٩.

(٢): المصدر نفسه، ص٥٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويوضح الغرض ويكشف اللّبس."[١] ففي إيراده لبيت زينب بنت الطّثرية في رثاء أخيها يزيد:

مضَى وورثناه دريس مُفاضة /// وأبيض هندياّ طوالا حمائله

يقول:" المفاضة الدرع الواسعة التي أفيضت أي وسّعت، والدريس الخلق وكذلك الدَّرْس والدِّرْس بكسر الدال اسم للثوب الخلق، فإذا فتحت الدال كان نعتا فتقول: عندي درس أي ثوب خلق.."[٢]

وهو في شروحاته وتفسيراته يتعرض لمسائل نحوية مهمة ويبيّنُ أثرها في المعنى العام للآيات القرآنية والشواهد الشعرية، مثل حديثه عن اسم الفاعل[٣]، واسم والفاعل واسم المفعول اللذان يأتيان على صيغة واحدة[٤]، والاستفهام المحرّك للتاء[٥] وكذا توضيح اللّبس بين الاسم والمصدر.[٦]

وهو في كل ذلك يدلي بدلوه في هذه القضايا التي يوردها ويفصل في بعضها أحيانا ويعربها أحيانا أخرى[٧]، أو يستشهد برأي غيره من النحاة في مسائل معينة، مثل ما أورده من إعراب للزجّاجي في قضية لغوية

---

(١): عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص٧٣

(٢): ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار ، ص٣٢.

(٣): المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٤):المصدر نفسه، ص١١١.

(٥): المصدر نفسه، ص١١٠.

(٦): المصدر نفسه، ص٢٦.

(٧): المختار من شعر بشار ، ص١٤٤.

معينة[١]، ويستمر على هذا النمط في إجراء أبيات أبي معاذ على أصول النحو وضوابطه وكأنه يقر بسلامة أبيات بشار من فساد المعنى أو عدم مجانبته للصواب.

ثانيا: النقد الصرفي:

البحث في دلالة الألفاظ ومعانيها لا يتم إلا بمعرفة المواضيع الصرفية وقواعدها و حيثياتها " فالصرف والمعجم جانبان جليلان في عملية الشرح."[٢] لأن التحليل المعجمي يتم وفق مقولات الصرف المعروفة، مما يدل على أن البحث في معاني الكلمات مشروط بمدى التطابق والضوابط الصرفية[٣]

وقد سخّر المؤلف معارفه الصرفية حيث عني ببنية الكلمة اسما كانت أو فعلا في شروحاته المختلفة، وذلك من عدة زوايا مثل: الحركة والاشتقاق، والإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، والمنقوص والممدود والمقصور، وصيغ المبالغة ومختلف المواضع التي تدخل تحت مسمى الصرف ، وكأن الناقد موقن بأن " رصد مميزات الكلمة في بنيتها الصرفية هي سبيل الشارح إلى رصد معناها"[٤] وبالتالي يتعالق عنده الصرف والدلالة في سبيل خدمة الدرس اللغوي.

ها هو يقف مع مرثية أبي عبد الله بن مناذر الشهيرة في عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي:

---

(١) :المصدر نفسه، ص١٤٣.
(٢) :أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ١٤هـ/ ٢٠م ، ص ٦٧.
(٣) :المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) : المصدر نفسه، ص ٦٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حيـن تمّت آدابُه وتـردَّى /// بـرداءٍ من الشبَـاب جـديدِ

وسقاهُ ماءُ الشبيبة فاهتَـ /// ـزّ اهتزاز الغصنِ الندِي المَيْـؤُدِ

ثم يعلق على ذلك بقوله:" الميؤُدُ المتثنّي وهو فيعـول مـن المـأد، يقال: مأد الغصن يمأد مأدا فهو مئِدٌ إذا كان متثنيا ...[١]

والظاهر أن الشارح خبير باللفظ العربي في إفراده وجمعه وتثنيتـه، وتذكيره وتأنيته، قد أبان عند ذلك مـن خـلال شـروحاته المستفيضـة، وتعليقاته المستوسعة، بعد عرضه لمختلف الأمثلة في مصـنفه، شـارحا إياها، مُبينا وجه الصواب والدقة في استخدام هذه الصيغة أو تلك.[٢]

والأمر سيان في حديثه عن مواضـيع تخـص الجانـب الصـرفي كالمهموز والمقصور، والتعريف والتنكير، وأثر ذلك في المعنى العام للنص مع ذكر مختلف الآراء.[٣] وفي شرحه لعينية بشار بن برد الشهيرة والتـي مطلعها:

أأبكاك داعٍ في الصباحِ سميعُ /// وطيف سَرى من نهروانَ يَريعُ

وذكر منها قوله:

وقـائلةٍ إن العيـال مُعـوِّل /// عليك فلا تقعُد و أنتَ مُضيعُ

فقلت لها كُفّي سيكيفكِ وافد /// أشـمُّ لأبـواب المُـلوك قريعُ

(١) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار، ص٧١، ٧٢

(٢) : المختار من شعر بشار ، ص٢٢٠، ٢٢٩

(٣) : المصدر نفسه، ص ٧٨، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٤.

ثم أعقب ذلك قائلا: " المضيع اسم الفاعل من أضاع... وقروع اسم الفاعل من قرع الباب فهو قارع وقروع كضارب وضروب... ووسيع وواسع بمعنى قدير وقادر وعليم وعالم..."(١)

وفي موضع آخر من الكتاب يتحدث عن تصغير التعظيم الذي يأتي على ضربين: تصغير تحقير وتصغير تعظيم ورأي النحويين فيه.(٢) وكذا تصغير التعظيم الذي يأتي على ضربين: تصغير تحقير وتصغير تعظيم ورأي النحويين فيه(٣)

٨- المعاني الشعرية:

ليس بخاف على أهل النظر من النقاد وأصحاب الصناعة الشعرية أنّ "النحو بأحكامه أعجز عن أن يستوعب أسرار اللغة الشعرية ووجوهها التي يدق فيها النظر، فهو يقيم منها أصولا عامة يجريها على أشياء متباينة، لا تكاد تتضح معها الخصائص المتفردة للكلام، والفاعلية والمفعولية والابتداء والخبرية، وغيرها لا تغني وحدها في بيان الآثار الشعرية لمواقع الألفاظ في العبارات".(٤)

ولذلك فالتثبت بأحكام النحو ومعانيه أفضى إلى غير قليل إهمال المعاني الشعرية والضرب عنها صفحا، فسبيل المعاني السهلة الجيدة أن تنزع إلى ألفاظها الخلوب لا إلى أحكام النحاة في الغالب الأعم، "فالنحو

---

(١) : المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٢) :المصدر نفسه، ص ١٣٢

(٣) :المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) : لطفي عبد البديع: التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، ص١٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يستهل حياته بأن يعزز الاستعمال بالصواب المنطقي ويجري المعاني المنطقية على الصورة اللغوية"[١] لا على الصورة الشعرية.

لذلك فليس من نافلة القول أن نذيل الحديث في ختام هذا المبحث عن رؤية أبي الطاهر إسماعيل بن زيادة التجيبي اتجاه معاني الشعراء، حيث تعرض لها بالنقد والتمحيص، مبينا طُرفا منها في مختلف شروحاته، وهي رؤية في غاية الأهمية في تقويم دلالة النصوص والمختارات الشعرية المختلفة.

ويَستعمل في ذلك صيغا متعددة مثل: " أكمل معنى وأتمه"[٢]وقوله: " وهذا معنى لطيف مستعمل"[٣] أو أقوله: " وقريب منه وإن لم يكن المعنى بعينه"[٤]

وكثيرا ما وقف عند بعض الأبيات الشعرية فعلق عليها قائلا: " وأما البيت الآخر فمعناه متسع كثير."[٥] أو يورد تعليقا على شاكلة :" وهذا المعنى غزير على ألسن الشعراء المولّدين منهم والقدماء"[٦]وقد تأتلف عنده المعاني رغم اختلاف المقاصد[٧]وبالتالي فلا يتحرج في استغراب المعنى واستظرافه في الوقت نفسه[٨]وهو في كل هذا يجمع بين اللغوي الصارم في

---

(١) : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) : ابن زيادة الله التجيبي: المختار من شعر بشار ، ص٧٨.
(٣) :المصدر نفسه، ص ٧٩.
(٤) :المصدر نفسه، ص ٨١.
(٥) :المصدر نفسه، ص ١٢٧.
(٦) :المصدر نفسه، ص ١٢٧.
(٧) : المصدر نفسه، ص ١٢٩.
(٨) :المصدر نفسه، ص ١٧٤.

في قواعده، والأديب الماهر في صناعته، والذي يحسن في شـــذوذه عـــن القاعدة العامة للضرورة الفنية، وبالتالي فقد جمع الشارح بين رؤية اللغوي الناقد والأديب الماهر.

ورغم ذلك فقد بقيت الصبغة اللغوية طاغية على كل أحكامه النقديـــة في هذا الشأن حيث لم يستطع منها فكاكا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة:

إذا كانت الاختيارات الشعرية تُعبّر عن الحس النقدي الذي يحُوزه مستجيدُ الاختيار، فإن الشروحات المضفاة عليها من الأعمال التي تدخل في صميم النقد.

ويأتي شرح العلامة أبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي في كتابه " المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين" في هذا الشأن.

وبما أن الشارح لغويّ أساسا فإنّ شروحاته على اختيار الخالديين قد انصبّت على الناحية اللغوية خصيصا. ولأن النقد في عمومه هو صناعة لها قواعدها وقوانينها، فإنّ المصنِّف كان مدركا لمستلزمات هذه الصناعة، حيث احترف – عن وعي وبصيرة – كل ضرورات هذه الصناعة.

وعليه فقد كان مُوقنا بان النقد اللغوي هو القدرة على تفكيك مادة الإبداع الأولى وغربلتها وفرزها وشرحها، وبالتالي تلمُّس مواطن الصحة والخطأ والجمال والقبح فيها واستيضاح كنهها وفكِّ منغلقاتها.

ومن خلال عرضنا للمادة يمكن أن نقول، إن النقد اللغوي الممارس من طرف أبي الطاهر التجيبي من خلال مصنفه، إنما صدر عن الثقافة اللغوية الأصيلة التي كان يحوزها هذا اللغوي الناقد، ارتضتها البيئة العلمية/اللغوية، والثقافية، والتي كان هو أحد محصلاتها. مع استناده في هذه الأحكام والشروحات اللغوية إلى المؤثرات المشرقية التي شكّلت رافدا مهما من روافد المعرفة اللغوية والأدبية للشارح، واتخذت عنده كمرجعية معرفية مهمة وأساسية في تلك الشروحات والتعليقات.

وهذه الرؤية النقدية لأبي الطاهر في جانبها اللغوي، وإن أكدّت من جهة سلامة هذا الذوق لشمولية ثقافته وسعة محفوظه، وبالتالي تميز الرؤية النقدية للشارح وصواب أحكامه وسلامة تفسيراته، فإنها أكدّت من جهة أخرى صحة الأحكام النقدية للتجيبي في الجانب اللغوي، واستقامتها؛ لأنها نابعة من عمق الثقافة اللغوية الأصيلة التي تميز بها العلامة المغاربي الكبير ، وهي أحكام صادرة عن وعي شخصية لها وزنها في هذا المجال، وكل من ترجم له من القدماء من أصحاب التراجم والطبقات شهد له بذلك.

والملاحظ على المنهج المتّبع من طرف أبي الطاهر إسماعيل في تعامله مع المادة اللغوية هو الشرح والتفسير لها وغربلة الألفاظ ونقد المعاني.

وتكتسي أحكامه النقدية في الجانب اللغوي أبعادا جديدة من خلال اعتماده على الموروث الشعبي والأسطوري بوصفه نقطة انطلاق مركزية نحو تفسير لغوي مقنع وحقيقي يستند إلى خلفيات معرفية أخرى وسياقية اقتضتها مناسبة النص.

ويمكن للمتمعّن في كتاب أبي الطاهر إسماعيل بن احمد التجيبي (المختار من شعر بشار ، اختيار الخالديين) وفيما أصدره من أحكام نقدية وتصويبات وتعليقات لغوية أن يتصور الجو الأدبي والنقدي للمدرسة القيروانية في الغرب الإسلامي حيث كان أبو الطاهر أحد روّادها، وهي مناسبة مهمة نقف عندها بالكلام.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثبت المصادر والمراجع:

- ابن الأبار القضاعي البلنسي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- أدونيس: الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- أحمد محمد الخراط: منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية من خلال خزانة الأدب، دار القلم، دمشق، سوريا / دار العلوم ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- أحمد محمد نتوف: النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع و الخامس الهجريين، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- أحمد الودرني:
- شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ١٤هـ/٢٠م. (دراسة سانكرونية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ٧ هـ/١٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي: المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين، اعتنى بنسخه و تحقيقه: محمد بدر الدين العلوي، تقديم: عبد العزيز الميمني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. عن الطبعة الأصلية لجامعة عليكرة (الهند)، ١٩٣٤م.
- ثائر عبد الزهرة لازم البصير: أمالي المرتضى، بحث في المنهج و النقد و التأويل، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٩م.
- ابن الساعي: الدر الثمين في أسماء المصنفين، حققه وعلق عليه: أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩م.
- عبد السلام محمد رشيد: لغة النقد العربي القديم بين المعيارية والوصفية حتى نهاية القرن السابع الهجري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- الشاذلي بويحيى: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، نقله إلى العربية: محمد العربي عبد الرزاق، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ط١، ١٩٩٩م.
- طه مصطفى أبو كريشة: النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث، مكتبة لبنان ناشرون، طبع في دار نوبار، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧م.
- عبد الفتاح كيليطو:

- الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠٠٧م.
- الكتابة والتناسخ (مفهوم المؤلف في الثقافة العربية)، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٨م.

- عبد القاهر الجرجاني: كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، المطبعة السعودية بمصر، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- مصطفى عليان عبد الرحيم: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٦م/ ١٤٠٧هـ.
- لطفي عبد البديع: التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجمان، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن النديم: الفهرست، قابله على أصوله: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٦٥٨٩
٢.	Abstract	٦٥٩٠
٣.	التعريف بالمؤلف:	٦٥٩١
٤.	آثاره:	٦٥٩٢
٥.	منهج المؤلف في الكتاب:	٦٥٩٤
٦.	النقد اللغوي في كتاب أبي الطاهر إسماعيل التجيبي:	٦٥٩٧
٧.	أ-التفسير اللغوي (الشرح):	٦٦٠١
٨.	ب- نقد الألفاظ:	٦٦١٨
٩.	ج- نقد المعاني:	٦٦٢٣
١٠	خاتمة:	٦٦٣٢
١١	ثبت المصادر والمراجع:	٦٦٣٤
١٢	فهرس الموضوعات	٦٦٣٦